



www.hotamr.com

# امرأة من الجنة

حمود صقر

الغلاف تصميم : عمرو الشامي  
مراجعة لغوية :

## إهداء

إلى من غرس في نفسي حب القراءة....  
إلى من اهتم بقراءة مؤلفاتي الأولى....  
إلى من كنت أتمنى أن يشاركني هذه اللحظات....  
إلى روح جدي الغالي الأستاذ عادل صابر

## مقدمة

قد نقابل في حياتنا شخصا نتوقف عنده كثيرا لنتأمل في حاله وفي ظروف معيشته، وكلما كانت ظروف الشخص أصعب كلما توقفنا مدة أطول. قد تدمينا قصته وتبكيننا فلا نعرف هل نبكي حزنا على الشخص المظلوم المعذب طوال حياته أم نبكي على حالنا نحن بعد أن فقدنا الجرأة والقدرة على رفع الظلم.

هنا نجد فتاة فعلت كل شيء جميل ونبيل، دون أن يطلب أحد منها شيئا بل كانت أسرتها تطعننها بخناجر قسوتهم فترد إليهم الإساءة باقية ورد... عطفًا ومحبة والتزاما بما أمرها الله سبحانه وتعالى الذي ملأ قلبها حبا وتسامحا وكأنها من أهل الجنة لا من بني البشر.

كثيرون من الرجال عقولهم أشد تصلبا وانغلاقا من أهل الجاهلية الأولى الذين كانوا يئدون البنات ويرون فيهن ذلا وعارا، فيما كان كل الفخر بإنجاب الولد ولم يلتفتوا أبدا على الرغم من مرور ما يقرب على ١٥٠٠ عام على ظهور الإسلام إلى قوله سبحانه وتعالى "و إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون" صدق الله العظيم.

الأغرب أننا نجد أما والتي كانت بنتا تتبنى نفس الفكرة الذكورية ولا ترى أمومتها إلا في ابنها ليصبح الأب والأم ظالمين لا يرد أحدهما الآخر فيتماديا في ظلمهما و جهلهما. فيغضب الله عليهما ويجنبا الحنظل بعد أن زرعا المر. هكذا هي الدنيا كما تدين تدان ومن أعمالك سلط عليك.

فالابنة هنا صاحبة نفس كبيرة رانقة فمثل هذه النفوس وحدها تعرف كيف تسامح لأنها كالشجرة لا تحجب ظلها حتى عن الحطاب. فهذه الابنة معلمة يجب أن نستمع إليها لتتحدث بثقة كيف سامحت والداها استنادا إلى وعد الله في كتابه العزيز "وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم" مثل هذه الابنة تؤمن بفطرتها النقية بالحكمة القائلة "أحب أبائك إن كان منصفاء، وإن كان غير ذلك فتحملة".

والله ولي التوفيق  
محمود صقر

## امراة من الجنة

وقف كمال أمام غرفة العمليات في خوف شديد وترقب فزوجته ترقد بالداخل تضع مولودهما الأول وكلاهما يتمنياه صبيا.... فكمال يتمنى أن تنجب زوجته صبيا حتى يحمل اسمه ويكون سندا له في الحياة وزوجته تتمناه صبيا حتى لا تكون أقل من قريباتها فكل واحدها منهن لديها صبي. بعد لحظات سمع كمال صراخ الطفل وخرجت الممرضة تحمل الصغير وتخبّر كمال انه صبي.... لم يصدق كمال نفسه جلس يخطط للمستقبل وكيف سيعلم ابنه وكيف سيقوم بتربيته ثم أعطته الممرضة الصبي الذي كان يبكي ويصرخ بشدة فهرول كمال إلى زوجته في غرفتها فوجدها مستلقية في تعب ولكنها ما أن رأت ابنها حتى فتحت عينيها واعتدلت في جلستها وحملت ابنها فسألها كمال "أخبريني يا رقية أي اسم سنختاره؟" قالت رقية في حزم "سنسميه سعد مثل اسم والدي رحمه الله" سكت كمال وابتسم ثم أخذ زوجته وولده وذهبوا إلى شقتهم.

لم تكن شقة كبيرة في حي راق بل كانت صغيرة وفي حي شعبي كما أنها بالإيجار وليست تملك.... لا بد أن تكون بالإيجار فمن أين سوف يقوم كمال بسداد ثمن شقة تملك فهو لا يعمل إلا موظف حكومة في إحدى الهيئات الحكومية ومرتبته لا يتعدى الـ ٦٠٠ جنيه كما أن زوجته لا تكف عن الطلبات ولا عن الشجار بسبب قلة دخل زوجها وتلعن اليوم الذي تزوجته فيه وتخبّره كيف كانت تعيش في منزل والدها على الرغم من أن والدها من الطبقة المتوسطة أيضا. ضحك كمال في نفسه لماذا كان يتمنى أن يرزق بصبي فليس لديه الأموال الطائلة ولا العقارات لكي يورثها له.

مرت الأيام وكبر سعد وكلما كان يكبر كلما كانت تزداد متطلباته وتزداد معها المصاريف ويزداد صراخ رقية وتزداد الدنيا ظلّمة وضيقا في عين كمال حتى قرر هو وزوجته عدم الإنجاب مرة أخرى حتى تتحسن أحوال معيشتهم أولا.... لكن على الرغم من ضيق ذات اليد لم يكن كمال حكيما في إنفاقه بل كان ينفق ببذخ شديد فكان أي شيء يشير عليه سعد كان يأتيه في الحال فكانت طلبات سعد تفوق طلبات صبي طبيعي في الخامسة من عمره.

ولما كانت الحياة تسير على هذا المنوال حتى أحست رقية ذات يوم بإرهاق وتعب شديدين فذهبت مع زوجها إلى الطبيب الذي صدمهما بالخبر " المدام حامل في الشهر الثالث". ساد الصمت بين كمال ورقية حتى عادا إلى منزلهما ثم بدأ النقاش الذي تحول سريعا إلى شجار حاد ولكن هذا الشجار لم ينتهي هذه المرة، لم يكن ينهيه سوى مصدر دخل إضافي حتى يكفي مصاريف المولود الجديد.

الأيام تمر وموعد الولادة يقترب ولم يجد كمال مصدر دخل آخر حتى اقترح زميل له في العمل أن يشاركه في تجارته فالتجارة مكسبها مضمون ورزقها كثير. دارت الفكرة في رأس كمال وعندما أخبر زوجته باركت الفكرة فاستقال من وظيفته الحكومية واقترض المال من الأقارب والجيران وبدأ في تجارته، في ذلك الوقت ذهبت رقية إلى المستشفى لتضع مولودها الثاني.

وقف كمال خارج غرفة العمليات ينتظر خروج زوجته لمشاهدة هذا الضيف المزعج الذي جاء ليغير حياته وحياة أسرته الصغيرة.... ذلك الضيف الذي جعله يترك وظيفته الحكومية ذات الدخل الثابت ويعمل في مجال تحكمه ظروف متغيرة. خرجت المريضة تحمل الرضيع بين يديها وأعطته لكمال وقالت "مبروك.... صبية كالقمر". حملها كمال ونظر إليها.... كانت تبكي ولكنها لم تكن مزعجة مثل سعد يوم ولادته.... كانت ملامحها هادئة رقيقة وكأنها ملاك من السماء، لم يكن ينتظرها لا هو ولا زوجته كل ما كان يريده صبي فقط ولكنها أتت على غفلة. دخل على زوجته في الغرفة فلم تقم من مكانها قال لها "هل اخترت لها اسما؟" قالت رقية "لا.. لم أفكر يوما في اسم لصبية. أكتب أي اسم". لم يخطر على بال كمال اسم أي بنت حتى وجد الوظيفة في السجل المدني اسمها إيناس فقرر أن يسمي ابنه إيناس أيضا. عاد إلى الشقة ومعه إيناس والتي بمجرد أن دخلت الشقة حتى رن جرس الهاتف رد كمال فوجد شريكه في التجارة يقول "مبروك يا كمال.... لقد تسلمت أرباح أول صفقة لنا تعالى واستلم نصيبك من الربح.... خمسة آلاف جنيه".

لم يصدق كمال نفسه خمسة آلاف جنيه ربح؟.... أخبر زوجته التي سرعان ما قالت سوف نشترى كذا وكذا وكذا.... كمال ورقية انشغلا بالمال ولم يلتفتا إلى رسالة السماء لم يفكرا أن هذا هو رزق إيناس هي من جلبت

الحظ السعيد لتلك الشقة التي طالما كثر فيها الشجار.... لم تكن تلك المرة الوحيدة التي ربح فيها كمال من تجارته فمئذ أن جاءت إيناس إلى الدنيا حتى وادت تجارته فانفصل عن شريكه وأصبح له مشروع الخاص الذي كبر وأصبح من كبار التجار وانتقل كمال وأسرته من الطبقة المتوسطة إلى طبقة الأغنياء.... ولأن رجل الأعمال الناجح لا تليق به شقة في حي شعبي فقد قام بشراء قطعة أرض في أحد الأحياء الراقية وقام ببناء عمارة سكنية وانتقل مع أسرته إلى هناك.

تبدل حال سالم ١٨٠ درجة فقد أغرقته مظاهر الثراء كما أغرقت زوجته وابنه أما إيناس فلم تكن مثلهم فقد ظلت كما هي منذ ولادتها ضيف غير مرغوب فيه لأنها لم تأت برضا والديها كما أن سعد كان يغار منها لأنها دائما متفوقة في دراستها ومحط إعجاب الأقارب وأصدقاء الأسرة وذلك لجمالها وذكائها ولباقتها في الحديث ، كان سعد يغار منها على الرغم من عدم تمتعها المميزات التي يتمتع بها هو فيقوم بمشاجرتها ودائما ما يتم إنصافه عليها فلم يكن بيدها سوى الجلوس في غرفتها طوال اليوم. كانت إيناس تشعر بالاضطهاد الشديد من أفراد أسرتها جميعا... كانت تتمنى أن تدخل البيت المرة فيستقبلها الجميع بابتسامة أو كلمة طيبة... عندما تنجح بتفوق لم يكن يعيرها أحد أي انتباه بحجة أن هذا هو مستواها المعهود ولا يجب أن تقل عنه أما سعد فإذا بالكاد نجح في الامتحان حتى تبدأ مظاهر الاحتفال والفرح والبهجة بحجة أن هذا تشجيع له حتى يكون حافزا لكي ينجح العام القادم، في تلك الاحتفالات كانت تعزي إيناس نفسها فقد كانت تعتبر تلك الاحتفالات لتفوقها وليس لنجاح سعد.

لم تكن إيناس منسية تماما من قبل والديها بل كانت تأخذ مصروفا ولكنه أقل بكثير من مصروف سعد، كانت تشتري ملابس ولكنها ليست بالكمية التي يشتريها سعد، كان سعد كثير الخروج مع أصدقائه والسهر لوقت متأخر من الليل وما أن يعود حتى يعنفه أبوه وتهزل أمه تدافع عنه. أما إيناس فكانت تراقب كل هذا من بعيد فليس من المسموح لها بالتدخل في أمورهم فإنها مازالت صغيرة كما انه من الخطأ أن تتكلم في أمور تخص شقيقها.... هكذا أخبرها والدها. كان من الممنوع أن تخرج إيناس من المنزل إلا للمدرسة التي تذهب إليها بسيارة المدرسة فلم تكن ترى الشارع سوى من النافذة سواء كانت نافذة حجرتها أو نافذة سيارة المدرسة، حتى أعياد ميلاد صديقاتها كانت ممنوعة من حضورها فكانت تكتفي بإعطاء صديقتها

الهدية في المدرسة.... لم تكن تأخذ ثمن الهدية من والدها بل كانت تتدخر من مصروفها لكي تشتريها. مع كل هذا كانت إيناس شخصية أخرى في المدرسة كانت كثيرة الضحك محبوبة من الجميع كانت لديها الكثير من الصديقات اللاتي يتمنين أن تطلب منهم إيناس أي طلب مهما كان ثمنه. لم تكن إيناس تخبر أي صديقة لها بما يحدث في المنزل فعلى الرغم من إحساسها بالظلم الواقع عليها إلا أنها كانت تعتقد أن هذا هو حال كل البنات في منازلهن بالتالي كانت تتقبل أي تصرف يقع عليها من والديها أو حتى شقيقها.

ذات يوم عادت إيناس من المدرسة فوجدت باب حجرتها مفتوح وسعد بداخل الحجرة يأخذ من النقود التي تتدخرها من مصروفها فصرخت وأخذت تنادي على والديها فدفعا سعد وفتح باب الشقة وهرب.. سقطت إيناس على الأرض وأخذت تبكي حتى جاء والديها ووجداها على هذه الحال فسألها كمال "ماذا حدث؟" فقالت إيناس "عدت من المدرسة فوجدت سعد يسرق نقودي من حجرتي" وما أن سمع كمال كلمة سعد يسرق حتى رفع يده وهوى بها على وجه إيناس وقال في غضب "كيف تجرئين على اتهام شقيقك بمثل هذه التهمة؟.... قد يكون مظلوما" قالت إيناس والدموع تنهمر من عينيها" وإذا كان مظلوما ولم يسرق فلماذا دفعني وهرب؟". لم يجد كمال ما يقوله فنظر إلى زوجته ثم نظر إلى إيناس التي قامت مسرعة وذهبت إلى غرفتها وأغلقت على نفسها الباب وأخذت تبحث عما كان يفتش به سعد فوجدته أخذ كل ما كانت تتدخره طوال ثلاثة أشهر فأخذت تبكي أكثر. على الرغم من كونها على صواب فلم يأت أحد ليطيب خاطرها ولأنها قد اعتادت على مثل هذه التصرفات فلم تنتظر أن يأتيها أحد.

مرت السنوات ونجحت إيناس في الثانوية العامة ودخلت إحدى كليات القمة بينما كان سعد قد سبقها إلى أحد المعاهد المتوسطة. في هذه الأثناء احتاجت إيناس تليفون محمول ولكنها لم تطلب من أبيها بل اشترته مما كانت تتدخره طوال سنوات مضت لكن التليفون الذي اشترته كان قديم الطراز حيث كان الوحيد الذي ناسب سعره ما كان معها من نقود لكن صديقاتها قررن أن تكون هديتهن لإيناس في عيد ميلادها القادم أحدث تليفون محمول موجود في الأسواق أيا كان ثمنه وهذا ما حدث فعلا.

ذات يوم قامت مريم صديقة إيناس بدعوتها على حفل خطوبتها فاستأذنت إيناس من والديها وارتدت أجمل ما لديها من ثياب وذهبت إلى الحفل فكانت أجمل فتاه هناك والتفت حولها الأنظار حتى أتت مريم ولأنها العروس فقد اتجهت نحوها جميع الأنظار إلا شاب واحد ظل ينظر إلى إيناس. هذا الشاب هو حسين ابن خالة مريم وما أن انتهى الحفل حتى عادت إيناس مسرعة إلى منزلها وهي تفكر في ذلك الشاب الذي كان يرمقها بنظراته طوال الحفل حتى أنها كانت تخجل من النظر إليه، أما حسين فلم يضيع وقته بل ذهب إلى مريم وسألها عن إيناس حتى عرف كل شيء عنها وطلب من مريم أن تخبر إيناس برغبته في الزواج منها.

بمجرد أن سمعت إيناس ما قالته مريم لم تصدق نفسها بل كادت تبتسم إلا أنها تمالكت نفسها وانكرت أنها لمحت حسين في الحفل فأخذت مريم تخبرها عن شخصية حسين، صفاته، أسرته، وكل شيء عنه. لم تكن إيناس خبيرة في أمور الرجال فهي لم تعرف في حياتها سوى والدها وشقيقها ولذلك قارنت حسين بنجوم السينما وبعد شد وجذب بين قلب إيناس وعقلها قررت أن تخبر أبيها بالأمر حتى يحدد ميعاد ليقابله حسين.

في المنزل كان كمال ورقية جالسان أمام التلفزيون فجلست إيناس بجانبهم وقالت "ما هو السن المناسب لكي تتزوج الفتاه يا أبي؟" قال كمال في استهزاء "ولماذا تسألين؟ هل أتى لك عريس؟" فقالت رقية "لازلت صغيرة على تلك الأمور.... كما أن سعد لم يتزوج بعد" فنهضت إيناس وقالت "وهل يجب أن أنتظر سعد حتى يتزوج؟ وإذا تأخر سعد في الزواج ماذا سأقول للعريس الموجود؟". نظر كمال ورقية لبعضهما ثم قال كمال "وهل هناك عريس موجود الآن؟" ثم جذبتها رقية من يدها وقالت "ألم تخجلي من مقابلته في الأماكن العامة أمام أعين الناس؟" واستكمل كمال قائلا "ألم تهتمي بسمعتي وسمعة أسرتك؟" قالت إيناس "أعطوني فرصة حتى أدافع عن نفسي.... أنا لم أراه ولم أقابله من قبل". قال كمال "إذن أين رأيك هو؟". فردت إيناس "إنه ابن خالة مريم صديقتي وكان موجود في حفل خطوبتها وأخبرها برغبته في الزواج مني". نظر كمال ورقية إلى بعضهما مرة أخرى فأومأت رقية بالموافقة فقال كمال "حسنا.. أخبريه أنني منتظره غدا هنا في الساعة السادسة".

في تمام السادسة كانت إيناس تنتظر في غرفتها ولأول مرة في حياتها كانت تتمنى أن تسمع صوت جرس الباب دقائق قليلة ودق جرس الباب هل هو حسين؟؟؟؟ نظرت من ثقب باب حجرتها فرأته... نعم إنه هو يدخل الصالون ومعه هدية صغيرة وبعد قليل دخل إليه كمال ومن بعده رقية. أما داخل الصالون فكان حسين يشعر بالقلق الشديد من هول الموقف الذي هو فيه كما أنها المرة الأولى التي سوف يرى فيها إيناس عن قرب ويتأملها برفق، ولكنه هب واقفا عندما دخل عليه كمال ولكنه ازداد قلقا عندما دخلت رقية فهو يعلم ما تفعله تدخلات النساء في مثل هذه الأمور.

جلس كمال ورقية في الجهة المقابلة لحسين وكأنه قد جاء ليتم التحقيق معه لا لكي يطلب ابنتهم للزواج... فسألوه عن أبيه وأمه وأشقائه ومؤهله ووظيفته ومرتبته، ثم همست رقية إلى زوجها قائلة "لم يتكلم عن الشقة.. هل يظن أننا سوف نعطيه شقة من عندنا؟ كما أن تكاليف الفرح هو من يتحملها". وبالنص نقل كمال ما قالت زوجته فقال حسين "عندي شقة ولكنها بعيدة عن هنا.. كما أنني أستطيع أن أقيم حفل زفاف في مستوى محترم ولكنه سيكون في شقة والدي". هنا قالت رقية "مبروك يا حسين" ثم قال كمال "أحضروا الشربات".

كانت إيناس تنظر من باب غرفتها إلى الصالون ولكنها لم تكن تعلم بما يدور في الداخل... كان أكثر ما يقلقها أن يتم رفض حسين لأن مستواه الاجتماعي أقل من مستوى أسرتها مع العلم أن أسرة حسين أسرة ميسورة الحال ولكن سرعان ما زاف خرف إيناس عندما سمعت والدها يقول "أحضروا الشربات" وفوجئت إيناس بالخادمة تدخل عليها وهي في يدها صينية الشربات وتقول لها "يجب أن تقدميها أنتي.. هكذا يفعلون دائما". حملت إيناس صينية الشربات ودخلت إلى الصالون وهي ترتعد خوفا من أن تسقط الصينية من يدها خاصة لو سقطت منها على حسين، ولكن قلبها كان يرقص فرحا لموافقة والدها على حسين وفي تلك الجلسة تم تحديد ميعاد حضور والدي حسين للاتفاق بشكل رسمي مع كمال على كل تفاصيل الزواج.

لم يكن حسين يمتلك المبالغ الطائلة التي تكفي لشراء أثاث للشقة وتحمل تكاليف الزفاف وشراء فستان لإيناس وشراء شبكة فقرر أن يصارح إيناس بتلك الأفكار التي تدور في رأسه.. تلك الأفكار التي جعلته يشعر أن هموم

الدنيا كلها عليه من كثرة المتطلبات المفروضة عليه، وما أن علمت إيناس هذه الأمور التي تقلق حسين حتى ذهبت إلى والدها وقالت له "يا أبي هل يمكنك أن تساعدني أنا وحسين في مصاريف زواجنا" فارتبك كمال لأنه دائماً ما يبخل على إيناس بالمصاريف ولكنه فكر سريعاً وقال " بالتأكيد سوف أساعدك بمبلغ من المال ولكن يجب عليك أن تعتمدي على نفسك مع خطيبك لتأثيث عش الزوجية". أدركت إيناس أنها كانت مخطئة عندما لجأت إلى أبيها خاصة عندما علمت مقدار المبلغ الذي سوف يساعدها به في زواجها إنه مبلغ لن يكفي لشراء أي شيء مهم بل أن ما يحصل عليه سعد في أربعة أشهر كان أكثر من هذا المبلغ، ولكن كيف لإيناس أن تترك حسين غارقاً في الهموم وحده فاتصلت به وقالت له "ليس عليك أن تجعل بالشقة كل الكماليات.. فقط اشترى الأشياء الضرورية ونحن فيما لعد ندخر ونشتري باقي الكماليات" فسألها حسين " وهل سيكفي دخلي مصروفنا حتى ندخر منه أيضاً؟" فقالت إيناس " لا تقلق سوف أبحث عن عمل حتى أساعدك في تكاليف المعيشة. كنت أريد أن أخبرك أيضاً أنني لا أريد شراء فستان زفاف لأنني لن أحتاج إليه بعد زفافنا لذلك فكرت في أن أستأجر فستاناً". عندما قالت إيناس تلك الجملة الصغيرة شعر حسين براحة كبيرة فقد كان يعلم أنها ذكية قادرة على أن تتأقلم مع الظروف الصعبة وقد فعلت ذلك بنجاح.

على الرغم من أن حفل الزفاف لم يكن أكثر من حفل في شقة صغيرة ضمت الأقارب والأصدقاء إلا أن جميع الحاضرين كانوا سعداء يضحكون ويتسامرون ويرقصون على أنغام الموسيقى وكانت إيناس سعيدة جداً بهذه الليلة فقد كانت تعرف أن هذه هي ليلتها فغنت ورقصت مع صديقاتها واستطاعت إيناس ببرائتها وحضورها أن تجعل كل المدعوين ينسوا بساطة الحفل وضيق المكان.. كل المدعوين نسوا ذلك عدا اثنان فقط هما كمال ورقية لم يتقبلا أي شيء حدث في تلك الليلة من أول المكان وحتى استئجار إيناس لفستان الزفاف. على الرغم من أن إيناس حلت ضيفا غير مرغوب فيه عند ولادتها لكن والدها لم ينسها أن ابنة رجل الأعمال الثري تقيم زفافها في مكان كهذا الأمر الذي جعل والدها يرفض دعوة أي رجل أعمال من أصدقائه كذلك حال رقية لم تدع أي سيدة مجتمع من صديقاتها حتى لا تأتي إلى حفل بهذا المستوى المتدني، ولكن بعد كل هذا هل كان يمكن أن يدفع كمال تكاليف زفاف يليق بمستواه الاجتماعي؟ بالطبع لا فكيف لكمال أن يدفع هو ولا يدفع حسين.... هكذا كان يفكر كمال ورقية. أما سعد فلم

يحضر إلي الحفل أصلا لأن مكان الحفل لا يليق بمستواه كما انه لا يحب أن يضحى بسهراته مع أصدقائه مقابل حضور حفل سخيف.

بعد الحفل ذهبت إيناس مع زوجها إلى بيت الزوجية... البيت الذي أحست فيه إيناس بأن هذا هو بيتها الحقيقي... هذه هي مملكتها لذلك عقدت إيناس العزم على تحويل منزل الزوجية المتواضع إلى جنة، وبالفعل استطاعت إيناس أن تقوم بذلك فقد قررت أن تقوم على إسعاد زوجها وإرضائه كأبي زوجة مخلصمة متفانية... فكان حسين يخرج إلى عمله في الصباح وتذهب هي إلى الجامعة بعده بقليل وقبل أن تعود إلى المنزل تذهب إلى السوق لشراء الخضار وحاجات المنزل لتطهو الطعام وتشمر عن ساعديها وتبدأ في تنظيف منزلها وتقلبه رأسا على عقب... وعندما تأتي الخامسة يدخل حسين من باب المنزل تستقبله بابتسامة ويجلسان سويا لتناول الغذاء بعدها تقوم إيناس بمذاكرة ما تأخذه في الجامعة، ولكن هل كانت حياة إيناس تمر هكذا دون عثرات؟ بالطبع لا فقد مرت عليها أوقات كانت لا تجد أموالا تنفق منها في الجامعة من شراء كتب وملازم مراجعة وأشياء كثيرة ولكنها لم تذهب لتطلب من والدها مرة أخرى حتى لا تقلل من مكانة زوجها لديه كما أنها تعلم أن والدها لن يعطيها شيئا وإن أعطاها فلن يكفي لما تحتاجه ففكرت واقتрحت على حسين أن تقوم ببيع جزء صغير من شبكتها لتنفق على دراستها في البداية لم يوافق حسين بل ورفض رفضا قاطعا لكن إيناس أخذت تقنعه وتشرح له بأنها لن تبيع سوى جزء بسيط جدا وأنها تنتظر منه أن يعوضها عنه فيما بعد فوافق حسين على طلبها ولكنها لم تكن المرة الأخيرة التي تقوم فيها إيناس ببيع جزء من شبكتها فقد كانت كلما تمر عليها ضائقة مالية تقوم ببيع جزء من الشبكة حتى باعها كلها ولكنها لم تحزن بل كانت متيقنة أن حسين سوف يعوضها عنها في يوم من الأيام.

استمرت السعادة التي تعيش فيها إيناس مع زوجها لمدة خمس سنوات أنهت خلالها دراستها الجامعية ورزقت بولد وبنات أكملتا عليها سعادتها... كانت إيناس سعيدة على الرغم من أن والدها لم يزورها منذ زواجها وعندما سألت عن السبب فتحججا بأن شقتها في إحدى المدن الجديدة والمسافة بعيدة ولن يقدر على السفر لرؤيتها أما السبب الحقيقي هو أن كمال ورقية يخجلان من الذهاب إلى شقة في إحدى المدن الجديدة حتى لا يشاهدهما أحد معارفهما وهم من القادرين على شراء شقة راقية لأبنتهم في

أفخم أحياء القاهرة. ذات يوم شعرت إيناس بالآلام شديدة في بطنها ولم تستطع تحمل الألم فأخذها حسين وذهبا إلى أحد الأطباء الذي أخبرهما بان هذا الألم ناتج عن التهاب الزائدة الدودية ويجب عمل عملية لاستئصالها. فأخبرت إيناس والدها الذين قالوا بأنهما سوف يذهبون معها إلى المستشفى ولكن في اليوم التالي لم يأت كمال ورقية ليأخذها إيناس إلى المستشفى فتركت إيناس زوجها في البيت مع أبنائها وتذهب هي مع صديقتها مريم وأجرت العملية التي نجحت بفضل الله ثم تقاجاً إيناس بمرور والداها عليها كالغرباء ثم أخبرها كمال بأنه دفع كل مصاريف العملية ومصاريف المستشفى قالها وكأنه يمن عليها وكأنه يشعرها كم هي عبء عليه حتى بعد زواجها ولأن إيناس قد اعتادت على تلك المعاملة من والديها فقد قررت أن تعتبر ما دفعه والدها هو دين عليها ويجب أن تقوم بسداده حينما تتحسن ظروفها المالية، ولكن تشاء الأقدار أنه بعد أن تخرج إيناس من المستشفى بعدة أسابيع أن يجري سعد نفس الجراحة التي أجرتها إيناس فلم يغمض جفن لكمال ورقية بل وأدخله أفضل مستشفى استثماري في القاهرة وأحضرا له أكبر الأطباء ولم يفارقه لحظة واحدة حتى خرج من المستشفى سالما.

ذات يوم رن جرس الهاتف في شقة إيناس وعندما ردت وجدت والدتها تخبرها بأن حفل زفاف شقيقها غدا في فندق كذا.... صدمت إيناس من الخبر فهل يصل الأمر إلى أن يتم دعوتها على زفاف شقيقها كأى شخص غريب.... حاول حسين بشتى الطرق أن يهديء من روع إيناس وأن يخفف من حزنها على ما بدر من والديها وكان كل همه ألا يظهر ذلك الحزن على وجهها في الحفل حتى لا يلاحظه المدعوون. ذهبت إيناس مع زوجها وأولادها إلى الحفل الذي كان في أحد أفخم الفنادق المعروفة وكان مدعو إليه كبار رجال المجتمع وأحيا الحفل مجموعة من نجوم الغناء.... هذا هو المستوى الذي يليق بزفاف ابن أحد رجال الأعمال الأثرياء. كانت إيناس فرحة لفرحة والديها وشقيقها الذي كان سعيدا بزواجه والتي هي من إحدى العائلات العريقة وامتدت هذا الحفل الأسطوري حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي.

عادت إيناس مع زوجها إلى المنزل يتحدثان حول حفل زفاف سعد ولم يقطع حديثهما سوى صرخة حسين الذي أمسك بكتفه الشمال وسقط على الأرض. لم تدري إيناس ماذا تفعل هرولت إلى الطبيب الطبيب الذي يقيم

في الشقة المقابلة لشقتهم والذي طلب سيارة إسعاف مجهزة لتنتقل حسين إلى أقرب مستشفى لعمل الفحوصات والإسعافات اللازمة وهناك أخبر الطبيب إيناس بأن زوجها لديه مشاكل في القلب ناتجة عن إصابته بمرض ما واخذ يشرح لها كثيرا عن الأمور المتعلقة بالقلب وفي النهاية نصحتها بالأبذل أي مجهود منعا لحدوث مضاعفات، ولذلك كان على إيناس أن تستدعي جهدا مضاعفا للاعتناء بحسين بجانب اعتنائها بأولادها فكانت ما أن تعود من عملها حتى تبدأ في الأمور المنزلية ورعاية زوجها وأولادها حتى شعرت في أحد الأيام بتعب ودوار في رأسها وعندما ذهبت إلى الطبيب أخبرها بأنها حاملا في الشهر الثالث فعاتت إيناس تبشر زوجها بهذا الخبر فهي تعلم كم يحب حسين الأطفال.

لم تكد تمر فترة بسيطة حتى مرضت رقية واحتاجت إلى من يرعاها فالخادمة لا تصلح لهذا الوضع فطلب كمال من سعد أن تهتم زوجته برقية وتعطيها دوائها لكن سعد ثار وغضب كيف لزوجته أن تتحول إلى مجرد ممرضة، فلم يجد كمال مفر من أن يطلب من إيناس أن ترافق أمها في مرضها ورحبت إيناس تماما بتلك الفكرة وكانت تعود من عملها إلى بيت والدها تعتني بأمها ولا تذهب إلى شقتها إلا في المساء فتجد حسين قد قام بما تقوم به هي للأولاد ولكن إيناس لم تستطع تحمل ذلك الوضع كثيرا بسبب ظروف حملها ولاحظ والدها ذلك فقرر أن تنتقل إيناس مع زوجها وأولادها إلى العيش في إحدى الشقق الموجودة في عمارة والدها ولكن سكون إقامتها في فترة مرض رقية فقط بعد ذلك تعود إيناس إلى شقتها القديمة فأخبر سعد والده بأن إيناس يجب أن تقيم في الشقة الموجودة في الطابق السادس وسارع بتأجير شقة خالية في الطابق الثاني بنصف قيمتها حتى لا تطمع إيناس فيها. عندما علمت إيناس بذلك رفضت بأن تنتقل إلى العيش في عمارة والدها فكيف لزوجها أن يصعد السلم للطابق السادس مرتين على الأقل يوميا وهو المريض بالقلب، وأخذ حسين يقنع إيناس بأن الإقامة في عمارة والدها أمر مؤقت حتى تشفى أمها ثم يعودان مرة أخرى إلى شقتهم وأمام إلحاح حسين وافقت إيناس.

كانت إيناس تقضي معظم وقتها مع أمها في غرفتها حتى تعطيها الدواء وإذا احتاجت لشيء تجد إيناس بجانبها. ذات مرة عاد كمال من عمله ودخل الحجرة ليطمئن على زوجته وكان يحمل في يده مظروفا منتفخا فسألته رقية "ما ذا يوجد بهذا الظرف؟" فرد كمال "إن سعد احتاج مني مبلغا

صغيرا من المال حتى يقوم بتغيير ديكورات شقته فبعث بعض الأسهم في البورصة وأحضرت له ١٠٠ ألف جنيه" فقالت إيناس " ألم أطلب منك يا أبي أن تترك مصعد العمارة من اجل زوجي وقد أخبرتني بأنك لا تملك الآن ثمن شراء وتركيب المصعد؟ الآن طلب سعد المال لأمر تافه يمكن تأجيله فتم إحضار المال فوراً". هنا انفجرت رقية في وجه إيناس قائلة " دائما تنظرين إلى سعد وما في يده هل تنسين دائما ما فعله من أجلك ألا تتذكرين أننا من دفعنا لك مصاريف العملية التي قمتي بها ألا تتذكرين أننا عندما عدنا من باريس قبل زفاف أخيك أحضرنا لك هدية كل هذا فعله لك وأنت لا تقدرين شيئا" فانهارت إيناس بالبكاء وانقضت على يدي أمها لتقبلها طالبة الصفح والعفو، ومن يومها ورقية تصطنع النوم حتى لا تتكلم معها إيناس فهي تظن أن إيناس سوف تطلب منها نقودا لتساعدتها على المعيشة وكما لم معظم وقته في الشركة وسعد لا يفارق زوجته التي لا تحب أن تدخل حجرة رقية لأن بها رائحة أدوية وهي لا تطيق رائحة الأدوية وسعد لن يترك زوجته ليجلس مع أمه. كل هذا من جهة أما من الجهة الأخرى فكانت حالة حسين الصحية تسوء يوما بعد يوم فنقص وزنه واصفر وجهه ولكنه كان يحاول أن يخفي آلامه عن إيناس فتكفيها هموم مرض والدتها. بعد خمسة أشهر وضعت إيناس حملها فكانت طفلة كالقمر فرحت بها إيناس كما فرح بها حسين ولكن شيئا واحدا أنغص عليهما تلك الفرحة وهو أن تلك الطفلة كانت مصابة بمرض نادر لم يتمكن الأطباء من تحديد دواء معين لعلاجها فلم يعطوها إلا بعض المسكنات. في تلك الأثناء شفيت رقية من مرضها وبدأت إيناس تشعر بتلميحات رقية وسعد وزوجته بأن مهمة إيناس انتهت ولا فائدة من وجودها في العمارة معهم، وبالفعل انتقلت إيناس إلى شقتها القديمة مرة أخرى ولكن حالة حسين الصحية قد تأخرت كثيرا فعاد ذات يوم من عمله ويصعد السلالم وهو يلهث من شدة التعب ودخل شقته بصعوبة وألقى بنفسه إلى أقرب كرسي وما أن رآته إيناس يتصبب عرقا ولا يقدر على التقاط أنفاسه حتى هرولت إلى جارهم الطبيب الذي اتصل بالمستشفى لترسل سيارة إسعاف مجهزة ولكن حسين لفظ أنفاسه الأخيرة قبل وصول سارة الإسعاف.

هكذا وبكل بساطة مات حسين تاركا خلفه زوجة شابة لم تتعد الخامسة والعشرين من عمرها أصبح يلاحقها لقب أرملة بدلا من لقب زوجة وولد وبناتان منهما بنتا مريضة بمرض لا علاج له. كانت إيناس تبكي بحرقة على زوجها الذي مات.... لم يكن عليها أن توافقه على الانتقال إلى عمارة

والدها فهل هي السبب في وفاته أم والدها اللذان أعطياها شقة في الطابق السادس على الرغم من إمكانية إعطائها شقة في الطابق الثاني أم السبب هو حسين نفسه الذي وافقها بل وأقنعها بالانتقال بالرغم من أنه يعلم أن هذا قد يؤذيه ويقضي عليه؟؟؟؟. أما كمال ورقية وسعد فقد تعاملوا مع الأمر كعادتهم بكل فتور فكانوا آخر المعزين ،لم يعرف أو يفهم الأقارب الموجودين في العزاء كيف صبرت إيناس علي والديها وشقيقها حتى بعد ذلك تركوا إيناس تستدين من الآخرين لعلاج ابنتها وكأن هذا الأمر ليس لهم أي علاقة به. لم تكذ تفق المسكينة الرحيمة من موت زوجها حتى ماتت ابنتها المريضة. كانت إيناس تبكي على زوجها وامتدت البكاء عندما توفيت صغيرتها المريضة... كم من ليال قضتها ساهرة تسيل الدموع من عينيها وهي تحتضن ولداها خوفا عليهما من المستقبل المجهول.

لكن يوم الحق كان قريبا وانتقام الله العادل كان قريبا فقد سقط كمال مريضا واستدعت حالته أن ينقل إلى المستشفى وجاءت إيناس لتجلس تحت قدميه وتركت كل شيء لخدمته أما سعد وزوجته فكانا يمران على كمال لدقائق تاركين أطفالهما في السيارة مما أغضب رقية فذهبت لإلقاء اللوم على زوجة سعد في بيتها فلاقت ما لا تتوقعه من إهانات وشتائم على مرأى ومسمع من سعد الجالس على كرسي لم يبرحه ليدافع عن أمه فعادت رقية مقهورة إلى كمال في المستشفى لتموت كمدا قبل أن تنطق الشهادتين.

انشغل كمال في إعداد الجنازة لدفن رقية وفجأة وهو في المقابر بحث عن سعد فلم يجده بجواره ففرغ عليه وقال لمن حوله "ابحثوا عنه فقد يقتل نفسه حزنا على أمه" فقال له أحد الجيران " لقد شاهدته منذ قليل بسيارة نصف نقل يحملها بأشياء من البيت" فاندش كمال وعندما عاد إلى البيت اكتشف أن سعد قد أخذ متعلقات أمه، أخذ كل ما خف وزنه وغلا ثمنه وعاد إلى المنزل في آخر الليل وفي عينيها دموع -نفس دموع أمه-دموع التماسيح. كما التف الأهل والجيران حول إيناس وبدلا من تقديم واجب العزاء كانوا يرجونها أن تسامح أمها فالكل يعلم ماذا فعلوا بها. بعد أن انفض الجميع من حول كمال سأله أحد أصدقائه "كيف ستعيش وحدك؟" فرد عليه كمال قائلا "ابنتي أولى بخدمتي" فصرخ صديقه في وجهه وقال "ابنتك التي عذبتها وقسوت عليها وحرمتها من محبتك ومالك وأذلت نفسها للآخرين؟ لماذا لا يكون ابنك الذي منحته كل ثروتك وحنانك ومحبتك هل سيرفض رعايتك؟" فقال كمال " بالطبع لن يرفض وسأريك أنني على حق"

فقال الصديق " حسنا.. سيكون مصيرك مثل زوجتك". قرر كمال أن يخوض الاختبار وليته ما فعل... لم يمض إلا يوما واحدا لم ير أسوأ منه في حياته فقد عاش الذل بمعناه من زوجة سعد وأبنائه ولأول مرة فهم معنى الآية الكريمة " أبؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا". فعاد إلى شقته مرة أخرى وقرر أن يطلب من إيناس أن تنتقل للعيش معه بعد أن أصبحت الشقة خالية بعد وفاة زوجته ووافقت إيناس على ذلك.

كان حال سعد بعد الزواج كما هي قبله فلم يترك حياة اللهو والسهر ولم يستقر في وظيفة واحدة.... لم تفلح محاولات كمال لإنقاذ ابنه حتى يعود إلى الطريق المستقيم. فعلى الرغم من تحمل كمال كافة مصروفات زواج ابنه وكذلك تعيينه مديرا لإحدى الشركات التي يمتلكها فلم يعترف سعد بالجميل بل كان يحاول السيطرة على كل أموال والده وكان يساعده في ذلك زوجته التي كانت تهمس في أذنه كل مساء وصباح بأن هذه الأموال تزيد عن حاجة والده خاصة بعد وفاة رقية وأن النقود التي ينفقها كمال بعد ذلك ستكون قليلة وأنهما أولى بالحصول على جزء من هذه الثروة، وظل سعد يفكر في خطة مناسبة تساعد على أن يفعل ما يريد فهداه تفكيره الشيطاني إلى الحل المناسب فهو يشرف على الشؤون المالية في الشركة الموجود فيها فأصبح يزور ويتلاعب في الدفاتر والحسابات وكان يقوم بتحويل الزيادة التي يحصل عليها إلى حسابه الشخصي في البنك.

بدأ سعد أولا بتحويل مبالغ صغيرة ولما وجد أنه لم يلتفت أحد إلى ذلك فأصبح يقوم بتحويل مبالغ كبيرة كل هذا وهو في قمة السعادة هو وزوجته، أما كمال فلم يكن يعلم شيئا مما يحدث فقد كان يثق في ابنه ثقة عمياء كما أنه أخبر كل الموظفين في الشركة أن سعد مثله وأن كل أوامره تنفذ. ظل الحال كما هو عليه حتى لاحظ أحد المحاسبين في الشركة أثناء قيامه بعملية الجرد السنوي أن المبالغ التي تنفقها الشركة قد زادت بدرجة كبيرة بعد أن أصبح سعد رئيس مجلس إدارة الشركة فأخذ المستندات التي تثبت تورط سعد في ذلك وذهب إلى شقة كمال مباشرة ولكنه بمجرد أن قابل كمال أحس بأنه قد يصدمه ذلك الخبر وفكر في أن يمهد له الموضوع فقال " ماذا يجب أن نفعل في حالة اكتشاف حالة اختلاس لأموال الشركة؟" فرد كمال " اختلاس؟.. منذ افتتاح الشركة لن تحدث أي محاولة اختلاس لكن إن حدث ذلك فيجب تحويل الجاني إلى الشؤون القانونية لينال جزائه" فقال الموظف " هل سيتم تحويله إلى الشؤون القانونية أيا كان هذا الجاني؟" قال

كمال " أراك تدور حول شيء معين قل ما تريد ولا تخف " فبلغ الموظف ريقه بصعوبة وقال " لقد اكتشفنا عدة عمليات اختلاس في الشركة والمختلس هو....سعد" فهب كمال واقفا وقال "كيف تجرؤ على هذا؟ هل تعلم خطورة التهمة التي توجهها لابني؟ ألا تعلم ما يمكنني أن أفعله ضدك الآن؟" فقال الموظف " كنت أتوقع ردة فعلك هذه لذلك أحضرت معي المستندات التي تثبت صحة ما أقول". أخذ كمال المستندات بيد مرتعشة خوفا من صحة ما يقوله هذا الموظف وأخذ يقلب فيها ويتفحصها.... فعلا لقد قام سعد باختلاس أموال ضخمة من الشركة وبصعوبة شديدة قال كمال للموظف " شكرا على أمانتك.... لا تخبر أحد بذلك الموضوع وأنا سوف أتخذ الإجراءات اللازمة".

بعد خروج الموظف دخل كمال غرفته وأغلق على نفسه الباب وهو لا يعلم ماذا يفعل.... ماذا سيحدث لو عرف الموظفون بالشركة أن سعد يسرق والده اتصل كمال بسعد وطلب منه الحضور فورا لأمر ضروري وبسرعة جاء سعد وتساءل عن الموضوع فقال له كمال " أنا أريد أن أعرف ماذا تفعل في الشركة بالضبط؟ كيف تحدث عمليات اختلاس لأموال الشركة وأنت لا تعلم بذلك؟" فهربت الدماء من وجه سعد وانعقد لسانه للحظات ثم قال " ومن أدراك بهذا الموضوع؟" فقال كمال " هل ترد على سؤالي بسؤال آخر؟ أخبرني الآن ماذا فعلت لهذا السارق.. هل واجهته بتهمته؟" فقال سعد " إن التحقيقات مازالت جارية وأعدك أن أجد هذا الشخص في وقت قريب" قال كمال " للأسف لن تجده هل تعرف لماذا؟ لأن من سرق هذه الأموال هو أنت" وبسرعة امتلأت عينا سعد بدموع التماسيح وقال " وهل صدقت هؤلاء الكاذبون؟ إنهم يحاولون أن يوقعوا بيني وبينك؟ أقسم لك بأن...." فقاطعه كمال قائلاً " إياك أن تقسم على شيء فلم تحدث تلك الأمور الغامضة إلا عندما دخلت أنت الشركة خذ هذه المستندات وقرأها أولا" أخذ سعد المستندات وقرأها أو تصنع أنه يقرأها فهو يعلم جديا ما بها فهو من كتب هذه الأرقام المزورة فألقى بالأوراق على الأرض وقال " نعم أنا من فعلها كيف لي أن أرى معك كل تلك الأموال الطائلة وأنا لا أملك منها شيئا؟" قال كمال " هل أنت متعجل على أخذ تلك الأموال؟ اطمئن فأنا لن أخلد في الدنيا سوف يأتي يوما أموت فيه وتأخذ أنت الأموال التي تريدها" قال سعد " أنتظر حتى تموت؟؟ إذا انتظرت سوف أحصل عليها كميراث وفي هذه الحالة سوف تقاسمني إيناس فيها.... كما أنني لا أعلم متي ستموت ولا أدري كم عام سأنتظر حتى يحدث ذلك؟". وقعت تلك الكلمات على رأس

كمال كالصاعقة ثم قال والكلمات تخرج مرتعشة من فمه "هل تريدني أن أموت بسرعة؟؟.... إذن هل تعد الأعوام حتى أموت أم حتى تحصل على الأموال؟" قال سعد " لا فرق بينهما في الحاليتين سوف أخذ ما أريد؟ ثم فتح الباب وخرج. أحس كمال أن الدنيا تدور به.... هو لا يعلم هل هذا حلم أم حقيقة لا لا يمكن أن يكون حلما إنه كابوس أسوأ كابوس يمكن أن يراه إنسان اسودت الدنيا في عينه ثم اختل توازنه وسقط على الأرض مغشيا عليه.

فتح كمال عينيه فوجد نفسه داخل حجرة بيضاء أنيقة وعلى وجهه قناع تنفس تنبه أكثر وأخذ يتمعن في الحجرة.... إنه ليس في منزله إنه في مستشفى نفس المستشفى التي كانت ترقد فيها رقية زوجته، ثم وجد بجانب سريره كرسي تجلس عليه فتاة.. دقق في وجهها أكثر فوجدها إيناس كما وجد تحت عينيها ما يدل على أنها كانت تبكي لوقت طويل. أخذ يتمعن في وجهها لقد وجدها على قدر كبير من الجمال لقد كان يعتقد دائما أنها تشبه رقية في شبابها ولكنها أجمل منها بكثير.... تذكرها عندما كان يحملها بين يديه يوم ولادتها لم تخف السنوات الطويلة البراءة من وجهها. تذكر عندما مرضت زوجته جاءت إيناس لترعاها على الرغم من مرض زوجها الذي مات بسبب ذلك، وها هو يرقد في المستشفى وإيناس بجانبه أيضا.... لقد كانت ضيفا غير مرغوب فيه عند ولادتها هل مازال يراوده نفس الشعور؟؟ لم يجد إجابة على هذا السؤال لكنه أحس أنه لابد وأن يتكلم معها حتى وإن طلبت منه مساعدة مالية.... لا يوجد بها أي خطأ فهي ابنته ولا بد أن يعطيها المال بدلا من أن تأخذه من غيره. تذكر كمال أنه لم يكن يحب البنات لذلك لم يكن سعيدا بإيناس ولم يعرها اهتماما ولم يمنحها الحب حب وعطف وحنان الأب وكان كل تركيزه في تدليل سعد وتلبية رغباته لقد كان العدل بين الأبناء أبعد ما يكون عن تصوره كما أن رقية كانت تشجعه على هذه التفرقة وترى كل عيب والعار في المساواة بينهما. لقد نشأت إيناس وهي تتقبل منه ومن زوجته أي شيء ولا تعترض على اهتمامهما وانفاقهما ببذخ على سعد وعلى الرغم من رضاها البادي إلا أنه تذكر أنه كان يرى في عينيها عتابا وانكسارا وكان يتعمد تجاهلها دون أن يهتز قلبه أو ضميره. تذكر كم كان يبخل عليها في مصاريف الدراسة فيما ينفق على سعد بالآلاف فقد كان يمنحه في أربعة أشهر فقط أكثر مما أنفقه على إيناس أثناء تجهيزها للزواج، تذكر أنه تركها تباع شبكتها لتنفق على دراستها فيما أنفق على سعد في معهده المتوسط ما يقارب مائة ألف جنيه. أفكار كثيرة

كانت تدور في رأس كمال ولكنه أحس براحة كبيرة وهو ينظر في وجه إيناس التي تحركت وفتحت عينيها فوجدت والدها وقد استيقظ فارتمت في أحضانه وأخذت تحمد الله على ذلك ثم وقفت تصلي شكرا لله.

أخذ كمال ينظر للغرفة إنها نفس المستشفى التي كانت بها زوجته رقية هو يعلم أنها مستشفى استثماري ضخم وقد فرح بذلك فهو رجل أعمال ولا يليق به أن يتلقى علاجه في مستشفى أقل من هذا المستوى إنها فكرة صائبة من سعد أن يحضره هنا.... بمجرد أن تذكر سعد حتى تذكر ما دار بينهما كله وبينما هو كذلك حتى دخل الطبيب وخلفه الممرضة فقال الطبيب "كيف حالك يا أستاذ كمال؟" قال كمال "بخير ولا أشعر بأي ألم في جسدي فلماذا أنا هنا؟" قال طبيب "مجرد فحوصات بسيطة حتى نطمئن على صحتك.... فالإنسان يجب أن يقوم بعمل فحص شامل كل ٦ شهور وقد أحضرك ابنك هنا حتى يطمئن على صحتك بعد أن أغمى عليك". على الرغم من محاولة الطبيب إخفاء شيء معين إلا أن كمال علم أنه يكذب خاصة عندما قال أن ابنه هو من أحضره إلى هنا فبعد ما حدث بين كمال وسعد لا يمكن أن ينقل سعد والده إلى المستشفى خاصة وأنه عندما يخرج غاضبا لا يعود إلى البيت إلا بعد منتصف الليل. قام الطبيب بإلقاء نظرة سريعة على كمال فاطمأن على سرعة نبضات القلب ومعدل ضغط الدم ودرجة حرارة جسده ثم أمر الممرضة بتغيير المحاليل ثم خرج وتبعته الممرضة بعد أنهت عملها ودار صمت رهيب بين كمال وإيناس.... فإيناس تريد أن تسأل والدها لماذا عادت من عملها بعد الظهر لتجده واقعا على الأرض في مشهد ألقى الرعب في قلبها وكمال يريد أن يسأل ابنته عن سعد هل سأل عليه هل زاره هل هل أسئلة كثيرة كادت أن تجعل رأسه تنفجر فأخذ قرصا منوما ثم أخذ للنوم ، وعندما استيقظ في اليوم التالي وجد إيناس تجلس على كرسي بجانب سريريه وتتنظر إلى طفلها اللذان كانا يلعبان ويضحكان فأحس بالبهجة لمجرد رؤيته أحفاده وتذكر كيف كان يغضب ويثور عندما كان يسمع صوتهما أو ضحكهما في الشقة قبل مرضه ، وبينما هو كذلك دخل سعد من باب الحجرة ويحمل باقة كبيرة من الزهور وضعها على الأرض ثم ألقى السلام وسأل والده عن صحته ثم قال " امكث هنا ما تشاء حتى تشفى فانا قد دفعت لك كافة نفقات علاجك ومصاريف الإقامة في المستشفى.... أنا مضطر لأن أرحل الآن لأن زوجتي وأولادي ينتظرونني في السيارة" ثم أغلق الباب وخرج تذكر كمال وقتها كيف عامل إيناس بنفس الطريقة عندما أجرت العملية وقال لها نفس الكلمات. كان هذا اللقاء الأول بين كمال وسعد

بعد ما حدث.... لم يستغرق أكثر من دقيقة لقد جاء سعد إلى المستشفى وكان شيء لم يحدث وكأنه ليس السبب في كل هذا.... أخذ كمال بيكي على حاله وعلى ما وصل إليه فهو يرقد على السرير لا حول له ولا قوة لا يدري ماذا أصابه ولا يدري متى سيخرج من هنا.

دخل الطبيب وأجرى الفحوصات العادية ثم سأل كمال "ألا تشعر بأي ألم في جسدك؟" قال كمال " لا وهذا ما يدهشني ويجعلني أتساءل عن سبب وجودي هنا" فأخرج الطبيب شيئاً كالدبوس جيبه وأخذ يغرسه في أماكن متفرقة من قدمي كمال ويسأل " هل تشعر بألم؟" فيهز كمال رأسه بالنفي ثم سأل في انهيار "هل يعني هذا أنني مصاب ب...؟" ثم سكت فقال الطبيب "للأسف نعم يا أستاذ كمال....أطلب من أبناءك الدعاء لك بالشفاء" ثم خرج الطبيب فارتمت إيناس في أحضان أبيها وهي تبكي ولكن كمال لم يقدر على أن يفعل أي شيء لكي تهدأ فقد كانت حالته النفسية في أدنى مستوى فقد أحس بأنه انتهى للأبد فالشلل سوف يقعه عن كل شيء لن يستطيع الذهاب إلى الشركة بعد الآن ولن يتحرك بحريته مرة أخرى فقد ارتبط بالكرسي المتحرك للأبد.... نظر حوله فلم يجد إلا إيناس وأولادها. تمر الأيام على كمال في المستشفى ببطء شديد لم يكن يعتني به أحد سوى إيناس.... لم يكن يضحك إلا على أفعال أولاد إيناس أما سعد فكان يمر عليه كل يوم ثم اكتفى بالاتصال بالهاتف فقط. هنا مر شريط حياة كمال أمام عينيه تخرجه.. عمله.. زواجه.. أولاده.. مدى اهتمامه هو وزوجته بسعد ومدى إهمالهم لإيناس وعدم تدميرها من ذلك على الرغم من أنها كانت مصدر سعادة هذه الأسرة الصغيرة فقد أتت إلى الدنيا وأحضرت معها كل الخير والرزق.... لم يتذكر أنه التفت إليها مرة واحدة وسألها إن كانت تريد شيئاً . أحس كمال بالندم الشديد على كل ما فعله بإيناس وقرر أن يعوضها عن ما فعله هو وزوجته بها.

خرج كمال من المستشفى وعاد إلى شقته مع إيناس وأطفالها شعر كمال أن الحياة عادت إلى شقته فقد ملأت ضحكات الصغار أرجاء الشقة وكانا يركضان هنا وهناك كما أن كمال وجد من يتكلم معه في أمور الدنيا المختلفة فلم تكن تهتم رقية بأي حديث سوى بالحديث عن النقود.... لم يكن سعد أيضا كثير السؤال عن والده على الرغم من إقامته في نفس العمارة التي يقيم فيها والده وإذا جاء ليزوره يكون اللقاء خاطفا فمرة يكون متعجلا

لأنه مشغول ومرة يهرول ليلحق باجتماع مهم ومرة يسرع ليلاي نداء زوجته.

كان كمال على يقين أن سعد غير قادر على إدارة مجموعة الشركات بأكملها خاصة وأنه عندما تولى مسؤولية شركة واحدة اختلس من أموالها كما انه لا يقوم الآن سوى بالتوقيع فقط على الأوراق ولولا وجود موظفين أكفاء وأمناء لضاعت الشركة منذ زمن. هنا فقط قرر كمال أن يخبر إيناس بأن تذهب على الشركة وتديرها بنفسها فليديها خبرة معقولة في هذا المجال لأنها تعمل منذ سنوات زواجها الأولى في إحدى الشركات، لكن إيناس ترددت قليلا في الموافقة على اقتراح والدها خاصة أنها سوف تكون مسئولة عن مجموعة الشركات بأكملها وليس عن شركة واحدة مثل سعد وبالتالي سيكون منصبها أكبر كثيرا من منصب سعد ولكن كمال طمأنها بأن لديه ما يشغل به سعد ليبقى بعيداً عن الشركة. بالفعل قدمت إيناس استقالتها من عملها الحالي وذهبت في اليوم التالي إلي الشركة وقابلت الموظفين والمحاسبين ليشرحوا لها موقف الشركة وليشرحوا لها ما قد يصعب عليها فهمه فوجدت إيناس الشركة في حال يرثى لها فقد كان سعد يأخذ من رأس المال لينفق على أموره الخاصة فعملت بجد وجهد كبيرين حتى استطاعت تعويض الخسارة التي تكبدتها الشركة أثناء عمل سعد بها في وقت قياسي وكان كمال فخورا بإيناس لأنها استطاعت فعل ذلك.

على الرغم من أن إيناس كانت سعيدة بنجاحها في عملها الجديد وأن الشركة استطاعت تحقيق طفرات هائلة في صفقاتها التجارية إلا أنه لم يكد يمر أربع أعوام على ذلك الحال حتى ساءت الحالة الصحية لكمال ففقد القدرة على الكلام وكان كلما رأى إيناس كان ينظر إليها ويريد أن يتوسل إليها لكي تسامحه على ما فعله بها طوال حياتها.... لقد كان قبل ذلك يريد أن يتحدث معها في هذا الموضوع لكنه كان يخجل من نفسه أن يذكر له ما فعله مع زوجته ضدها فيسكت لكنه الآن يتمنى أن يستطيع التكلم مرة أخرى فقط حتى يطلب منها أن تسامحه، ولكن لم تدم فترة فقدان كمال القدرة على الكلام طويلا فقد ذهب في غيبوبة طويلة لمدة قاربت الشهر ثم أسلم روحه إلى بارئها. بوفاة كمال اسودت الدنيا في عيني إيناس.... نظرت حولها فلم تجد سوى طفلان لا يعلمان شيئا من أمور الدنيا وأخ لن يفكر في الاطمئنان عليها أبدا فضمت صغيراها إلى صدرها بشدة خوفا منها أن تفقدهما أيضا وقررت أن تفني حياتها لتوفر لهما حياة كريمة، لكن على الرغم من بحر

الأحزان الذي كانت تغرق فيه إيناس بدموعها إلا أن سعد كان على العكس تماماً فقد هرول إلى المحامي حتى يقوم بإعلام الوراثة ويأخذ كل ما كان يحلم به من أملاك والده منذ سنين طويلة خاصة وأنه يعلم أن والداه أخبراه منذ زمن أنهما قد كتبا وصية مع المحامي حتى يتم توزيع الميراث على أساسها عند وفاه كمال لكن المحامي أخبره بأنه يجب أن يتم فتح الوصية في وجود كل الورثة الشرعيين وهم سعد وإيناس فهاج سعد كيف أنه الابن الأكبر لأبيه ولا يتم فتح الوصية الآن لكن المحامي رفض رفضاً قاطعاً لأن ذلك مخالف للقانون.

لم تكن الحالة النفسية ولا الجسدية لإيناس جيدة لدرجة تسمح لها بالذهاب إلى مكتب المحامي لكي يفتح الوصية ولكن سعد اقترح على المحامي أن يأتي هو إلى المنزل ليقرأ الوصية أمام إيناس لأنها لن تستطيع الحضور فوافق المحامي لكنه لن يقدر على الحضور في الوقت الحالي لأنه مشغول بعدة قضايا فأصبح سعد يذهب إلى إيناس أكثر من مرة في اليوم الواحد وفي كل مرة يصيح ويثور لتذهب للمحامي ثم يخرج من شقتها مرة أخرى حتى لاحظت إيناس أن طفليها بدأ يخافان من سعد بمجرد دخوله الشقة كما أنها سأمت من تصرفاته وألفاظه القبيحة فقررت أن تذهب معه على المحامي حتى ترتاح من صياحه كل يوم. عند المحامي جلست إيناس حزينة مكتئبة متجهمة الوجه كما أنها كانت تنظر إلى الأرض خجلاً من المحامي فقد جاءت مع سعد لفتح الوصية على الرغم من مرور أسبوعين فقط على وفاة والدها، أما سعد فقد كان سعيداً ومتشوقاً لفتح الوصية وكان يحاول إخفاء سعادته تلك لكن الابتسامة الواسعة المرسومة على وجهه كانت تبين حقيقة شعوره. كان سعيداً لأنها أول مرة يرث فيها شيئاً فعندما ماتت والدته كان كل شيء باسم والده وبالتالي فلم يرث شيئاً.

فتح المحامي الخزانة وأخرج منها مظروفين كبيرين وقال " أنا لذي وصيتين لوالدكما واحدة كان قد كتبها مع السيدة رقية قبل وفاتها بمدة طويلة والوصية الأخرى كتبها وهو في مرضه الأخير وسوف أقرأ لكما كلا منهما" ثم فتح المظروف الأول وقرأها وكان فيها ما يفيد أن كمال يمنح ابنه سعد كافة أملاكه من عقارات وسيارات وأرصدة في البنوك ومجموعة الشركات ولم يعط لإيناس سوى شقة في إحدى عماراته وحساب صغير في أحد البنوك مبرراً ذلك بأنها لا تعلم الكثير عن التجارة والصفقات وأنها أول كل شهر سوف تتسلم نصيبها من أرباح الشركة. انتهى المحامي من القراءة

ونظر إلى سعد فوجده سعيدا جدا فقد جاءت الوصية كما تمنهاها أما إيناس فلم تحزن ولم تفرح بل لم تتغير ملامح وجهها ولم ترفع نظرها عن الأرض فهي تعلم جيدا كيف كان يعاملها والداها وهما على قيد الحياة وبالتالي فتلك الوصية هي نتيجة طبيعية لتصرفاتهما. تنبه سعد وإيناس على صوت المحامي وهو يقول " ما قرأته الآن هو الوصية الأولى ولا يسري العمل بها طالما توجد وصية أخرى مكتوبة في تاريخ لاحق " ثم فتح المظروف الثاني وقرأ الوصية وكان ما فيها يفيد بأن كمال قد أحس بالندم الشديد لما قام به من أمور سيئة ضد إيناس وهي أمور كانت تضايقها كثيرا ونادم أيضا على تفضيله سعد عليها لأسباب واهية وغير مقنعة وأنه وهو في مرضه الأخير تأمل حياته كلها وأدرك وقتها أن إيناس هي من جاءت وأتت بالخير والرزق والسعادة معها فعندما أتت إلى الدنيا كان قد بدأ تجارته وعندما كبرت إيناس كبرت معها أعماله وازدهرت حتى بعدما عمل سعد بالشركة وأخذ يخربها حتى أوشكت على الإفلاس إلا أن إيناس عندما تولت إدارة مجموعة الشركات استطاعت أن تسد العجز وأن تعوض الخسارة في وقت قياسي وبالتالي فإن الشركة من حق إيناس، فاندحشت إيناس وبدأ سعد يثور ويصيح معترضا ويبدو أن كمال قد أخبر المحامي من قبل عن رد فعل سعد عندما يسمع هذا الكلام وبالتالي فإن المحامي لم يهتم لصياحه وأكمل ما جاء بالوصية وهو بأن كمال وصف الأيام التي قضاها مع إيناس أثناء مرضه كانت من أجمل أيام عمره و أنه كان يتمنى أن يكون صحيحا معافى حتى يستطيع أن يسعدها ويعوضها عما فعله بها سابقا، أما سعد فقد منحه كمال كافة الأرصدة النقدية في البنوك والسيارات والعقارات التي يملكها عدا الشقة التي كان يقيم فيها كمال تكون ملكا لإيناس وبرر كمال أنه لم يعط مجموعة الشركات لسعد لأنه يعلم أن سعد لا يحب العمل التجاري هنا انتهى المحامي من القراءة فلمعت عينا سعد وشكر المحامي وخرج يتصل بزوجته ليخبرها تلك الأخبار السارة أما إيناس فقامت وهي غير مصدقة أن مجموعة الشركات أصبحت لها وشكرت المحامي فقال لها " أود أن أعتذر منك بالنيابة عن والدك لقد نصحته أثناء كتابة الوصية أن يتم تقسيم الميراث وفقا للشرع لكنه قال أنه يعلم ما يمكن أن يفعله بك سعد لو أخذت أي شيء أكثر من ذلك " فشكرته إيناس مرة أخرى وخرجت.

قام المحامي بعمل كل الإجراءات المطلوبة حتى انتقلت ملكية مجموعة الشركات والشقة إلى إيناس وباقي الأملاك إلى سعد. كان كمال قد كتب الشركة لإيناس لتشعر بشيء من الرضا.... شيء يعوضها عما تلقت من

والديها ولكن للأسف لم تشعر إيناس بأي نوع من الرضا أو بأنها انتصرت  
على سعد بامتلاكها الشركات... كانت على علم بأنها لو بذلت بعض  
المجهود في الشركة سوف يزيد معها المال ولكن أي مال يعوضها عن  
حنان الأم وعطف الأب؟؟؟؟!!!!.

## صدر للكاتب:

كتاب الكتروني من خدمة مروة رخا للنشر  
بعنوان "الحب القاتل"  
في 27-2-2010

